ROUTE
EDUCATIONAL & SOCIAL SCIENCE JOURNAL
ISSN: 2148-5518

Volume 7, Issue 3, March 2020, p.613-632

İstanbul / Türkiye

Article Information

Article Type: *Research Article*

This article was checked by iThenticate.

Article History:
Received
07/10/2019
Received in revised form
10/11/2019
Accepted
10/12/2019
Available online
15/03/2020

PSYCHOLOGICAL DISORDERS AND ITS EFFECT ON THE CREATION OF THE POETIC TEXT FOR ONE, AMRO BIN QIAAS AL-MURADI

Dr. Qaiss Sabeeh GUMAIS[1]

Abstract

The view of the poetic text from the perspective of the state of the psychologist at the time of the text is an interesting idea for the recipient, who tends to know the poet's inner self, as well as his admiration for the poetic text itself.I have always been fascinated by the idea that there are poetic texts created and embodied by the psychological turmoil experienced by the poet, that is, poems that result from the awareness and planning ahead, but the burst of feelings of psychological abnormal imposed on the poet and forced them, is closer to being the result of sincere human feelings and sense With the enormous amount of psychological pressure and accumulated disorder.I am attracted by the poem of Amr ibn Qa'as al-Muradi, which is one of his and Mamanazat by his poetry, and because it is his one, which perhaps did not say others in the strength and influence and poetry flow, it has been associated with the internal and psychological turmoil, and perhaps the first perception of the poem Laishi this. If this is the case, this research has been divided into two sections after an entrance that illuminates and paves the way for him. The first topic, entitled "Poets of the One and the Psychological Perspective," contains a vision of the psychological outlook, Literary output and a brief account of the poets of one and surrounded by the term of various views.The second topic was entitled "The Effect of Psychological Disorder in the Formation of the Ta'i of the Pre-Islamic Poet Amr Ibn Qa'as Al-Muradi", in which he sought to explore the depths of Ibn Qa'as's poem and reveal the manifestations of existence and the existential dilemma of the life of the troubled and controlling man. Killed his son and his liver, and worked on the analysis of the verses of the poem trying to detect the impact of the fluctuations of the soul

[1]University of Mustansiriya , dr.qaiss1969@gmail.com

and disorder in the composition of poetic images.I concluded my research with the results and data that I reached in the hope that it offers something new in the world of literature and aesthetics.
Key words: Psychological Disorders, Amro Bin Qiaas, poetry.

الاضطراب النفسي وتأثيره في خلق النصّ الشعريّ _لواحدة عمرو بن قِعاس المراديّ_

أ. م. د. قيس صبيح العطواني
الجامعة المستنصرية – كلية التربية

الملخص

تبدو النظرة إلى النصّ الشعري من زاوية حالة المنشيء النفسية وقت نظمه هذا النص ، تبدو فكرة مثيرة للمتلقي الذي يميل إلى معرفة دواخل الشاعر المعجب به فضلا عن إعجابه بالنص الشعري نفسه الذي يمثل انعكاسا لهذه الدواخل لحظة نظم النص الشعري .لطالما أغرمت بفكرة أن هناك من النصوص الشعرية مايخلقها ويجسدها هو الاضطراب النفسي الذي يمرّ به الشاعر ، أي أنها قصائد لاتنتج من وعي وتخطيط مُسبّق بل من دفقة مشاعر نفسية غير سوية تفرض نفسها على الشاعر فيبوح بها مرغما ،هي أقرب من التكوّن نتيجة المشاعر الإنسانية الصادقة والإحساس بالكم الهائل من الضغط النفسي والاضطراب المتراكم . لقد جذبتني قصيدة عمرو بن قِعاس المراديّ التي عُدّت واحدته ومانمازت به قريحته ، ولكونها واحدته التي ربما لم يقل غيرها في المتانة والتأثير والدفقة الشعرية فهي قد ارتبطت بدواخله واضطرابه النفسي ، وربما التصور الأول للقصيدة لايشي بهذا. إذاك عمدت إلى الغوص في ثنيات الكلمات ونسيجها والحروف وأشكالها وأصواتها محاولا إبراز تأثير هذا الاضطراب في تكوين القصيدة.لأجل هذا المسعى قسّمت بحثي هذا على مبحثين بعد مدخل

يضيئه ويمهد له ، وكان المبحث الأول بعنوان (شعراء الواحدة والنظرة النفسية) تضمن تصورا للنظرة النفسية وهي تتناول النتاج الأدبي وسردا مختصرا لشعراء الواحدة وماحاط بهذا المصطلح من اراء شتى .أما المبحث الثاني فكان بعنوان (تأثير الاضطراب النفسي في تكوين تائيّة الشّاعر الجاهلي عمرو بن قِعاس المراديّ) فيه عمدت إلى سبر أغوار قصيدة ابن قعاس والكشف عن تجلّيات الوجود ومأزق الفناء الشاغل لحياة الانسان المضطربة والمتحكّم بمصيره لاسيما بعد أن شاع بين أوساط النقاد أن الشاعر نظمها بعد قتله ولده وفلذة كبده ، وعملت على تحليل أبيات القصيدة محاولا الكشف عن تأثير تقلبات النفس واضطرابها في تكوين صورها الشعرية . وختمت بحثي هذا بالنتائج والمعطيات التي توصلت إليها املا أنها تقدم شيئا جديدا في دنيا الأدب وجمالياتها الأخاذة .

الكلمات المفتاحية : الاضطراب النفسي، عمرو بن قِعاس ،قصيدة.

المقدمة:

لطالما أغرمت بفكرة أن هناك من النصوص الشعرية مايخلقها ويجسدها ألا وهو الاضطراب النفسي الذي يمرّ به الشاعر ، أي أنها قصائد لاتنتج من وعي وتخطيط مُسبّق بل من دفقة مشاعر نفسية غير سوية تفرض نفسها على الشاعر فيبوح بها مرغما ، هي أقرب من التكوّن نتيجة المشاعر الإنسانية الصادقة والإحساس بالكم الهائل من الضغط النفسي والاضطراب المتراكم . لقد جذبتني قصيدة عمرو بن قِعاس المراديّ التي عُدّت واحدته ومانمازت به قريحته ، ولكونها واحدته التي ربما لم يقل غيرها في المتانة والتأثير والدفقة الشعرية فهي قد ارتبطت بدواخله واضطرابه النفسي ، وربما التصور الأول للقصيدة لايشي بهذا. إذاك عمدت إلى الغوص في ثنيات الكلمات ونسيجها والحروف وأشكالها وأصواتها محاولا إبراز تأثير هذا الاضطراب في تكوين القصيدة ، ولأجل هذا المسعى قسّمت بحثي هذا على مبحثين بعد مدخل يضيئه ويمهد له ، وكان المبحث الأول بعنوان (شعراء الواحدة والنظرة النفسية) تضمن تصورا للنظرة النفسية وهي تتناول النتاج الأدبي وسردا

مختصرا لشعراء الواحدة وماحاط بهذا المصطلح من اراء شتى .أما المبحث الثاني فكان بعنوان (تأثير الاضطراب النفسي في تكوين تائيّة الشّاعر الجاهلي عمرو بن قِعاس المراديّ) فيه عمدتُ إلى سبر أغوار قصيدة ابن قعاس والكشف عن تجلّيات الوجود ومأزق الفناء الشاغل لحياة الانسان المضطربة والمتحكّم بمصيره لاسيما بعد أن شاع بين أوساط النقاد أن الشاعر نظمها بعد قتله ولده وفلذة كبده ، وعملت على تحليل أبيات القصيدة محاولا الكشف عن تأثير تقلبات النفس واضطرابها في تكوين صورها الشعرية . وختمت بحثي هذا بالنتائج والمعطيات التي توصلت إليها املا أنها تقدم شيئا جديدا في دنيا الأدب وجمالياتها الأخاذة .

مدخل:

تبدو النظرة إلى النصّ الشعري من زاوية حالة المنشيء النفسية وقت نظمه هذا النص ، تبدو فكرة مثيرة للمتلقي الذي يميل إلى معرفة دواخل الشاعر المعجب به فضلا عن إعجابه بالنص الشعري نفسه الذي يمثل انعكاسا لهذه الدواخل لحظة نظم النص الشعري، وعلى الرغم من أن بعض الباحثين يميلون إلى وصف أي شاعر أو أديب أو فنان بأنه يحمل شيئا من الاضطراب النفسي ، أو حتى المرض النفسي ويبني هذا البعض رأيه من خلال المقارنة بين سلوك المبدع أديبا أو فنانا وسلوك الشخص العادي في حياته اليومية ،فمن المؤكد أن هذا الرأي يحمل في طياته الكثير من المغالطة. إنّ الأديب أو الفنان لايختلف على وجه العموم عن الشخص العادي في تصرفه الحياتي الظاهر للعيان ، ولكن هناك عدد من المبدعين في مجال النص الشعري تباينوا في أفكارهم وسلوكهم ودواخلهم النفسية عن المعتاد من تصرفات الانسان السويّ وأفكاره وتوجهاته. لاشك أنّ كلّ تباين يحمل شيئا مختلفا ،هذا الاختلاف إن عكس نفسه داخل النص الشعري فإننا سنلمح معطيات فريدة ربما حملت لنا إبداعا ونتاجا شعريا ثرّا .

المبحث الأوّل

شعراء الواحدة والنظرة النفسية

1- النظرة النفسية للنتاج الأدبي:

بتصفحنا بعض التآليف التي تبنت تطبيق التحليل النفسي أو النظرة من منظار الطب النفسي للمنتج الأدبي نلاحظ مثلا دراسة مُحَمَّد النويهي لأبي نؤاس في كتابه (نفسية أبي نؤاس)([2])..إذ عمل على تحليل هذا الشاعر من خلال ماعرف عنه من مجون وسلوك غير سويّ في علاقاته الحياتية التي استنبطها من أشعاره وأخباره مستعينا بالنظرة الفرويدية مماجعله يشتطّ في رأيه ويتعسّف في الحكم بناء على اراء فرويدية فنّد العلم الحديث الكثير من آلياتها . ولكنّ هذا لايعني أن نتجه إلى الفصل بين السلوك والطبيعة النفسية للمنشئ وبين نتاجه الأدبي كلّه ،فهذا الاتجاه سيحرمنا من تسليط الضوء على زوايا من الممكن أن تمنحنا أبعادا مهمة في فهم النص الأدبي قد لاتلتفت إليها مقاييس النقد الأدبي الأخرى .

لنتفق أولا أن ليس كلّ قصيدة شعرية تصلح أن ينظر إليها بمنظار التحليل النفسي، أو الرؤيا النفسية لأنّ دوافع القول ربما لاتشي بوجود العامل النفسي أو الاضطراب النفسي المنتج للقصيدة .إلى جانب هذا علينا أن نستحضر فكرة وجود نقائص وشطحات فيما أبدته نظريات علم النفس (ولنذكر دائما أن ماتم إنجازه في مجال النفس الإنسانية يعد حيّزا ضئيلا لايفي بالغرض المطلوب) ([3]) . إنّ الصلة المنعقدة بين آليات علم النفس ومناحي الأدب والفن صلة عميقة تواشجت مع ظهور الفن والأدب للوجود ، وبتصفحنا جهود أفلاطون وموقفه من الفن والأدب ودعوته لإنشاء المدينة الفاضلة ،وكذلك أرسطو في نظرية التطهير التي تبناها ومن تبعهما في هذا المنحى مايشير إلى هذه الجذور الممتدة في التراث الإنساني التي حاولت استكناه النص الأدبي من خلال دراسة الحالة النفسية لمبدع النص.

[2] ينظر : نفسية أبي نؤاس – محمد النويهي ،مكتبة الخانجي للطباعة،مصر،1970.ط2.
[3] مدخل إلى الأدب الاسلامي ، د.نجيب الكيلاني ،مطبعة رئاسة المحاكم –قطر ،1984،ط1،ص139.

ونلحظ جوانب من الرؤية النفسية للشعراء التي تجسدت في أشعارهم اعتمدها ابن قتيبة الدينوري (276هـ)في كتابه (الشعر والشعراء)، فمما يحسب لابن قتيبة في مجال النقد تقديره لحالة الشاعر النفسية وتأثيرها في شعره ،وذكر بعض العوامل التي تعوق الشاعرعن قول الشعر كأن يكون من عارض يطرأ على الغريزة والفطرة يقلب المزاج من سوء المعيشة وهموم تتراكم في صدره ، والقاضي الجرجاني (393هـ) في كتابه (الوساطة)، إذ يشيرالى تأثيرالبيئة في الشعر جودة واخفاقاً مع ماتحمله هذه البيئة من مثيرات نفسية يسببها السكن في الحاضرة والريف أوالجفوة والخشونة التي تضفي على شعر الأعراب والبدو رداءها الواضح ،وكذلك عبد القاهر الجرجاني (471هـ) في كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) . في ذهابه إلى أنّ المعاني وانبعاثها في النفوس إنما يكون على هيئات خاصة وصور متميزة تزخر كل نفس بما يميزها تبعا لطبيعة الشاعر نفسه. ولفت نظر الباحثين والنقاد ماأقدمت عليه (جماعة الديوان)1921، ومن تبعها عندما ذهبت إلى سبر أغوار النزعة الفردية التي تحلى بها شعراؤها فقد درس المازني ابن الرومي في حياته اليومية ، ومن بين من اهتم بمحور شخصية الشاعر دراسة وتحليلا عباس محمود العقاد ومُحَمَّد النويهي في دراستهما أبا نؤاس كما أنّ العقاد درس ابن الرومي دراسة نفسية . ([4])

وحاول بعض النقاد الاتجاه بالدراسة النفسية إلى العمل الأدبي نفسه ومحاولة كشف عملية الإبداع فيه مثل عزالدين اسماعيل في كتابه (التفسير النفسي للأدب) ومصطفى سويف في كتابه (الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة). وكم هو مؤثر ومنتج لو جمعنا بين دراسة شخصية الشاعر ودواخله النفسية وبين ماينتجه من عمل أدبي نشأ بتأثير هذه الدواخل وبإيحاء منها.

[4] ينظر:المدخل إلى نظرية النقد النفسي – سيكولوجية الصورة الشعرية –نقد العقاد انموذجا -زين الدين مختاري 1996 ، ص3 .

2- شعراء الواحدة:

اختلفت اراء النقاد حول مفهوم شعراء الواحدة بين من يرجعها إلى من عرفت عنه قصيدة واحدة مشهورة ولم يقل غيرها، وبين من يرجعها إلى قصيدة مميزة تبرز من ثنيات نظم الشاعر وتفرض وجودها على بقية شعره ،فيعرف بها حتى لايكاد يذكر ماقاله من شعر غيرها، و(يعود مصطلح أصحاب الواحدة إلى ابن سلام الجمحي 232هـ .إذ ورد هذا المصطلح أول ماورد في كتابه طبقات فحول الشعراء وكان يعني به الشعراء اللذين أجادوا في قصيدة واحدة مع أن لهم قصائد أخرى كثيرة أو قليلة.)([5])

لذلك وجدنا أنّ ابن سلام جعل معلقة عنترة بن شداد واحدته لأنها اشتهرت من بين قصائده بقوله (وله قصيدة هي :

يادارَ عبلة بالجواءِ تكلّمي وعِمي صباحا دارَ عبلة واسلمي

وله شعر كثير ،إلا أن هذه نادرة ،فألحقوها مع أصحاب الواحدة .)([6])

وكذلك جعل معلقة طرفة بن العبد واحدته لشهرتها بين الناس بقوله (فأما طرفة فأشعر الناس واحدة ،وهي قوله:

لخولة أطلال ببرقة ثهمدِ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ)(7) .

ونلاحظ أنّ ابن رشيق القيرواني (463هـ) في كتابه (العمدة) قد رسّخ هذا المصطلح بقوله :

(وأمّا أصحاب الواحدة فطرفة أولهم عند الجمحي ،وهو الحكم الصواب ....)([8])

---

[5] أصحاب الواحدة اليتيمات والمشهورات والمنسيات من الشعر العربي،محمد مظلوم ،ص3 ، اصدار مؤسسة (كتاب في جريدة) - بيروت -لبنان-ع142-2حزيران-2010.

[6] طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ،شرح محمود أحمد شاكر ،دار المدني ، جدة ،1974، ص152.

[7] المصدر نفسه ، ص 138.

[8] العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده لابن رشيق القيرواني،تحقيق صلاح الدين الهواري وهدى عود ،دار ومكتبة الهلال ،2002، ص 123 .

ثم ذكر شعراء اخرين على أنهم أصحاب الواحدة من غير شعراء المعلقات المعروفين ، واستمرت قائمة أصحاب الواحدة بالتوسع ، ونرى الشاعر نعمان ماهر الكنعاني قد اتبع نهج أبن رشيق نفسه فأضاف شعراء اخرين إلى القائمة في كتابه (شعراء الواحدة) الصادر في بغداد عام 1967. ونجد أنه أضاف شعراء لهم دواوين شعرية معروفة لكنهم انمازوا بقصيدة واحدة طبّقت الافاق ،من هؤلاء الشعراء الشنفرى والسموأل ومالك بن الريب وابن زريق البغدادي وغيرهم .([9]) لكن القلم النقدي وضع شروطا لاختيار الواحدات فإن كان أصحابها قد قالوا شعرا غير الواحدة فيجب أن يكون قليلا وغير مزاحم لهذه الواحدة بالجودة والفرادة (فأصحاب الواحدة بمفهوم النقد العربي الكلاسيكي وتأكيده المأثور على التصنيف النوعي للشعراء ، هم مغلقون أي الشعراء الذين يأتون بالعجائب والفرائد من الشعر في قصيدة أو بضع قصائد ،فأغلبهم ليسوا في عداد الشعراء الفحول ولكنهم أجادوا إجادة ملفتة في قصيدة معينة .) ([10])

ونشير هنا إلى أنّ عددا من القصائد الواحدة تنازعها أكثر من شاعر بل نجد أنّ بعضها نسب إلى شعراء اخرين وحقّقت في دواوينهم .وهناك أبيات تم انتحالها ونسبتها إلى غير صاحبها فتداخلت الأبيات الأصلية بالأبيات المنحولة. إنّ فرادة قصيدة الواحدة وتميّزها الفني وجودتها الفائقة جعلها في قمّة شعر قليل لهذا الشاعر أو ذاك فـ(ثمّة واحدات أنفق شعراؤها وقتا طويلا في صياغتها وإعادة بنائها حتى أصبحت ديوان حياتهم ومراة شخصياتهم عبر أطوار شتّى كما هو الحال في يتيمة سويد بن أبي كاهل وواحدة توبة بن الحمير .)([11]) ولكن من بين قصائد الواحدة ثمة قصائد اتفق النقاد حولها كعينية ابن زريق البغدادي وتائية الأنباري والقصيدة الدعدية في أنّ شعراءها لم يأتوا بغيرها حسنا وفرادة.

[9] ينظر : شعراء الواحدة ،نعمان ماهر الكنعاني ، 1985بغداد ،ص 84 .
[10] أصحاب الواحدة اليتيمات والمشهورات والمنسيات من الشعر العربي ص3.
[11] أصحاب الواحدة اليتيمات والمشهورات والمنسيات من الشعر العربي ص3.

وبالمجمل فإن أصحاب الواحدة ليسوا بشعراء البلاط ومدّاح الملوك إنّما هم من عوام الناس المغمورين قيّض لهم لسانهم الشعري تحت ظروف نفسية خاصّة أن ينظموا شعرا علق بأفئدة الجمهور وتداولته الأجيال جيلا بعد اخر . وفي دراستي هذه سأعتمد كتاب (أصحاب اليتيمات والمشهورات والمنسيات من الشعر العربي) لمحمد مظلوم الصادر عام 2010 مصدرا للنماذج الشعرية المختارة من شعراء الواحدة .

المبحث الثاني :تأثير الاضطراب النفسي في تكوين

تائيّة الشّاعر الجاهلي عمرو بن قِعاس المراديّ

تثير النفس الشاعرة تساؤلات حائرة مضطربة ويقف على رأس هذه الأسئلة سرّ الفناء والوجود .لذلك نجد أنّ الشعر العربي عكس هذا المنحى من الجدلية التي تؤثر في النفس البشرية محققة اضطرابا في دواخل الشاعر النفسيّة انعكس على قصائده التي عبّرت عن هذه الاضطراب والتشويش والقلق من الفناء أو الرغبة في معرفة سرّ الحياة ولماذا الوجود من حيث الأصل. كما أنّ نظرة الشاعر الجاهلي تجاه جدلية الفناء والوجود حملت أيضا تعدّدا في أساليب التعبيرعنها فمنهم من يعبّرعنها بلسان الفارس المستعد للتحدّي والمواجهة كما هو الحال في معلقة طرفة بن العبد، ومنهم من واجهها بلسان الحكيم كما في معلقة زهير بن أبي سلمى . وعندما نأتي إلى تائية الشاعر الجاهلي عمرو بن قعاس المرادي ،وهي الوحيدة التي عرفت للشاعر ، وتكشف عن تجلّيات الوجود ومأزق الفناء الشاغل لحياة الانسان المضطربة والمتحكّم بمصيره ، فقد ذهبت إلى الدعوة للانغمار والذوبان النهائي بمسرّات الحياة حتى اللحظة الأخيرة .إذْاك يتحقق الموت السعيد الذي ينشده الشاعر ،فهو في صراع مع الحياة لأنه عجز عن فهمها فناجزها بأن يغترف مايستطيع من منافع سطحية منها .

وقد زعم الرّواة أن عمرو بن القِعاس سكر يوما ففقد رشده وعمد إلى ذبح ابنه وبعدها قال هذه القصيدة التي قمت بترقيم أبياتها لغرض الرجوع إليها بيسر وسهولة عند الاستشهاد بها ومتابعتها ([12]):

11-أَلا يا بَيتُ بِالعَلياءِ بَيـــتُ
وَلـولا حُبُّ أَهلِكَ ما أَتَيتُ

2 -أَلا يا بَيتُ أَهلُكَ أَوعَدوني
كَـأَنّي كُلَّ ذَنبِهِمُ جَنَيـتُ

3-إِذا ما فاتَني لَحمٌ غَريضٌ
ضَرَبتُ ذِراعَ بَكري فَاشتَوَيتُ

4-أُرَجِّلُ لِمَّتي وَأَجُرُّ ذَيلي
وَتَحمِلُ شِكَّتي أَفُقٌ كُمَيتُ

5-وَسَوداءِ المَحاجِرِ إِلفِ صَخرٍ
تُلاحِظُني التَطَلُّعَ قَد رَمَيتُ

6-وَغُصنٍ لَم تَنَلهُ كَفُّ جانٍ
مَدَدتُ إِلَيهِ كَفّي فَاجتَلَيتُ

7-وَتامورٍ هَرَقتُ وَلَيسَ خَمراً
وَحَبَّةِ غَيرِ طاحِنَةٍ قَضَيتُ

8-وَبَرْكٍ قَد أَثَرتُ بِمَشرَفِيٍّ

[12] ينظر الطرائف الأدبية ،عبد العزيز الميمني ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،1972،ص72 .

إِذا ما زَلَّ عَن عُفرٍ رَمَـيـتُ

9-وَعادِيَةٍ لَها ذَنبٌ طَويلٌ

رَدَدتُ بِمُضغَةٍ فيما اشتَهَيتُ

10-أُثَبِّتُ باطِلي فَيكونُ

حَقّاً وَحَقّاً غَيرَ ذي شِبْهٍ لَوَيتُ

11-مَتى ما يَأَتِني يَومي يَجِدني

شَبِعتُ مِن اللَذاذَةِ وَاشتَفَيتُ

12-وكم من لائم في الخمر زارٍ

عليّ غدا يلوم فماارعويت

13-وانسةٍ حذوتُ ولم أدنها

وجاءت في الحذاء كما اشتهيتُ

14-وبيتٍ ليس من شعر وصوفٍ

على ظهر المطيّة قد بنيتُ

15-وبيتٌ قد أتيتُ حوالِ بيتٍ

وبيتٍ ما أحاولـُه أتيـــــتُ

16-وجاريةٍ تنازعني ردائي

أمام الحيّ ليس علي بيتُ

17-تقول فضحتني ورآك قومي

وماعذري الان وقد زنيتُ

18-وكُنتُ إذا أَرى زِقّاً مَريضاً

يُناحُ عَلى جِنازَتِهِ بَكَيتُ

19-أُمَشّي في سَراةِ بَني غُطَيفٍ

إِذا ما ساءَني أَمرٌ أَبَيتُ

20-وماءٍ لَيسَ مِن عِدٍّ رَواءٍ

وَلا ماءِ السَماءِ قَد اشتَفَيتُ

21-وَلَحمٍ لَم يَذُقهُ الناسُ قَبلي

أَكَلتُ عَلى خَلاءٍ وَانتَقَيتُ

22-وَصادِرَةٍ مَعاً وَالوِردُ شَتّى

عَلى أَدبارِها أُصُلاً حَدَوتُ

23-وَنارٍ أوقِدَت مِن غَيرِ زَندٍ

أَثَرتُ جَحيمَها ثُمَّ اِصطَلَيتُ

24-ولم أدبر عن الأدنين إنّي

نآني الأكرمون ومانأيتُ

في مطلع القصيدة والبيت الذي يليه تمتزج شآبيب الشوق والحب لديار الحبيبة بالصدّ عنه والنفور منه حدّ تهديده بالهلاك إن اقترب من حياضه:

1-أَلا يا بَيتُ بِالعَلياءِ بَيتُ

وَلولا حُبُّ أَهلِكَ ما أَتَيتُ

2-أَلا يا بَيتُ أَهلُكَ أَوعَدوني

كَأَنّي كُلَّ ذَنبِهِمُ جَنَيــتُ

هذان البيتان يشكلان بؤرة الصراع النفسي الناجم عن الجمع بين الشوق لديار الحبيبة والهلاك والتهديد بالفناء القائم إزاءه.هذا الصراع يأخذ أبعادا خطيرة تكشف عن نفس مضطربة تدور في فلك الأنا ولاتعطي للاخر وزنا بل تشعر بهيمنة الرغبة الخالصة على حساب مشاعر الاخر وظروفه الإنسانية رغم أنّ هذه الرغبة محفوفة بالمخاطر ونذر الهلاك ، يقول الشاعر :

16-وجاريةٍ تنازعني ردائي

أمام الحيّ ليس عليّ بيتُ

17-تقول فضحتَني ورآكَ قومي

وماعذري الان وقد زنيــتُ

نلحظ أنّه لاينظر للاخر أنّه كيان يستحق مراعاة مشاعره فلايبالي إن تسبّبت ملذاته في إلحاق الأذى به. إنّه في غياهب الأنا ورغبة العدوان تنفيسا لمشاعر مضطربة مكبوتة . ونجد بؤرة أخرى للصراع النفسي تتموضع بين رغبته في استحصال الملذّات وبين لائميه سواء أكان هذا اللائم ناصحا من رفيق له أم زاجرا من أهل أو عشير :

18-وكمْ من لائمٍ في الخمر زارٍ

عليّ غدا يلوم فما ارعويتُ

إنّ لائمه المزري عليه لم يقدم على لومه إلّا لإفراطه في معاقرة الخمر إفراطا أذهب عنه عقله ومسخ شخصيته ، فالخمر من مجالس الملوك وأوجه الفخر بين القبائل العربية قبل الإسلام لكنّ الغد سيشهد ارتكاب الشاعر موبقة كبرى تستدعي هذا اللوم والإزراء .والشاعر في سبيل أهوائه لايأبه بأن يتخلى عن الوجاهة وعن كونه سريّا من بني غُطيف ، فيأبى أن يبقى من السّراة إن ساءه أمر يقضّ عليه اللذاذة في الحياة:

19-أُمَشّي في سَراةِ بَني غُطَيفٍ

إِذا ما ساءَني أَمــرٌ أَبَيتُ

إذن من ينتصر أخيرا في هذا الصّراع النفسي هي الرغبة في خوض غمار المغامرة في الحبّ والتلاقي وجني ملذات الدنيا المعروفة في عصره إلى أقصى حدّ ممكن على الرغم من المخاطر المتوقعة دون ذلك. إذ تبدأ جملة من الممارسات التي تعبّر عن الانغماس بملذات الحياة المعروفة في زمنه من دون التفكير بعواقب هذه الممارسات وخطرها على حياته ، وتبرزهذه الملذات فيما يأتي :

1-المرأة التي عرضتُ لعلاقة الشاعر بها من خلال الأبيات السابقة .

2-الطعام الثمين :يقول الشاعر :

3-إِذا ما فاتَني لَحمٌ غَريضٌ

ضَرَبتُ ذِراعَ بَكري فَاشتَوَيتُ

لاشكّ أنّ الطعام عنصر للبقاء يشغل المخيلة العربية الجاهلية أيّما إشغال ،وربما انفردت هذه المخيلة في تصوير مأدبة الطعام والكرم المصاحب له في ثنايا الشعر الجاهلي لاسيما اللحم هذا الطعام الثمين الأساسي في مائدة الكرام ،والشاعرهنا لايأبه إن فاتته مأدبة طعام ،فدونه بكرته وإن كانت

اخر مايملك يضربها ليشتوي لحمها . حتى وإن كان مايشتويه جزءا منه خرج من صلبه إذ يقول في موضع اخر:

21-وَلَحمٍ لَم يَذُقهُ الناسُ قَبلي

أَكَلتُ عَلى خَلاءٍ وَانتَقَيتُ

أيّ لحم هذا الذي لم يذقه الناس قبله ،وقد أراق دماءه لأجله إن لم يكن لحم ابنه الذي ذبحه لحظة ذهاب عقله من فرط معاقرته الخمرة وجنون أهوائه ، ولك أن تتخيل مقدار الصراع المختلج في عقله نتيجة هذه الفعلة إن صحّ وقوعها بالطبع ، وأيّ غصن لم تستطع كفّ الجان أن تناله فمابالك بالإنس إن لم يكن جسد ابنه الغض ليجتليه :

6-وَغُصنٍ لَم تَنَلهُ كَفُّ جانٍ

مَدَدتُ إِلَيهِ كَفّي فَاجتَلَيتُ

3- الشراب: يقول واصفا شرابه الذي يحرزه في هذه الدنيا من أغرب مايكون ،وهو شراب لم يعهده غيره:

7-وَتامورٍ هَرَقتُ وَلَيسَ خَمراً

وَحَبَّةِ غَيرِ طاحِنَةٍ قَضَيتُ

ويقول في موضع اخر:

20-وماءٍ لَيسَ مِن عِدٍّ رَواءٍ

وَلا ماءِ السَماءِ قَد اشتَفَيتُ

فهو ينهل من ماء لم ير مثله أقرانه ،ولم تعرفه الناس من قبل خالصا له وحده ،وهل غير دماء ابنه التي هرقها إمعانا في إعلاء الأنا وإرضاء النفس وامعانا في الجريمة وحسب.

4-الصّيد والطّرد: ينطلق الشاعر بسلاحه على فرسه متربّصا يصيد مايعنّ له من الظباء ذائدا إبله وقت

4-أُرَجِّلُ لِمَّتي وَأَجُرُّ ذَيلي

وَتَحمِلُ شِكَّتي أَفُقٌ كُمَيتُ

5-وَسَوداءِ المَحاجِرِ إلفِ صَخرٍ

ُتلاحِظُني التَطَلُّعَ قَد رَمَيتُ

22-وَصادِرَةٍ مَعاً وَالوِردُ شَتّى

على أَدبارِها أُصُلاً حَدَوتُ

إذن الشاعر محتفل بعناصر الحياة المعروفة في زمنه ،فلايتركها حتى يأخذ كلّ ضالته منها ،ويتعامل مع الحقّ بوصفه مفهوما فارغا من محتواه يرتبط بما يحققه من نفع له ودونه لايكون إلّا باطلا في إعلاء مريض بالأنا يبلغ حدّ العدوان ومصادرة الاخر :

10-أُثَبِّتُ باطِلي فَيكونُ حقّا

حَقّاً وَحَقّاً غَيرَ ذي شِبْهٍ لَوَيتُ

11-مَتى ما يَأتِني يَومي يَجِدني

شَبِعتُ مِن اللَذاذَةِ وَاشتَفَيتُ

هكذا هي الحياة في نفس ابن قعاس المرادي ، ضرب من العبث واللاجدوى، تناجزه هذه الحياة ،فيعلنَ عليها الحرب ويكونَ الانتصار بمفهومه هو أكبر قدر ممكن يحققه من مباشرته اللذائذ .كلّ هذا يعكس النفسية المضطربة غير السّوية لهذا الشاعر الذي يصل تراجعها عن مداها الانساني إلى الحدّ الذي لايتصوره عقل سوي .إذ بلغت الحالة النفسية غاية اضطرابها فهو لايدبرعن ارتكاب الموبقات حتى انفضّ من حوله الأكرمون وتركوه لاضطرابه وجنونه:

24-ولم أدبر عن الأدنين إنّي

نآني الأكرمون ومانأيــتُ

فاخر اهتماماته أن يترك هذه الموبقات لأنه نظر إلى الحياة نظرة عبثية وقدّم رؤاه النفسية إزاءها بعبثية أيضا تتجسد في الانغمار بكل شيء تلذه النفس وتقبل عليه. ممايشير بوضوح إلى تأثير الاضطراب النفسي في انتاج هذه القصيدة وتحديد أطرها الموضوعية.

النتائج

1- إنّ الفصل بين السلوك والطبيعة النفسية للمنشئ وبين نتاجه الأدبي كلّه ، سيحرمنا من تسليط الضوء على زوايا من الممكن أن تمنحنا أبعادا مهمة في فهم النص الأدبي قد لاتلتفت إليها مقاييس النقد الأدبي الأخرى، لذلك النظرة إلى النص الأدبي يجب أن تجمع بين النتاج الأدبي وخلفية المنشئ النفسية للحصول ربما على أبعاد جديدة لاتستطيع المناهج النصية الإحاطة بها .

2- ليس كلّ قصيدة شعرية تصلح أن ينظر إليها بمنظار التحليل النفسي، أو الرؤيا النفسية لأنّ دوافع القول ربما لاتشي بوجود العامل النفسي أو الاضطراب النفسي المنتج للقصيدة .إلى جانب هذا علينا أن نستحضر فكرة وجود نقائص وشطحات فيما أبدته نظريات علم النفس تجعلنا نخطئ في بناء تصورات مختلقة لايشي بها النص في حقيقته.

3- إنّ أصحاب الواحدة ليسوا بشعراء البلاط ومدّاح الملوك إنّما هم من عوام الناس المغمورين قيّض لهم لسانهم الشعري تحت ظروف نفسية خاصّة أن ينظموا شعرا علق بأفئدة الجمهور وتداولته الأجيال جيلا بعد اخر .

4- تم تشخيص جملة من الممارسات التي تعبّر عن انغماس الشاعر ابن القعاس بملذات الحياة المعروفة في زمنه من دون التفكير بعواقب هذه الممارسات المفرطة وخطرها على حياته مع : أ-المرأة . ب- الطعام الثمين ج- الشراب

د- الصيد والطرد .

5- الشاعر يتعامل مع الحقّ بوصفه مفهوما فارغا من محتواه يرتبط بما يحققه من نفع له ودونه لايكون إلّا باطلا في إعلاء مريض بالأنا يبلغ حدّ العدوان ومصادرة الاخر .

6- نظر الشاعر إلى الحياة نظرة عبثية وقدّم رؤاه النفسية إزاءها بعبثية أيضا تتجسد في الانغمار بكل شيء تلذه النفس وتقبل عليه. ممايشير بوضوح إلى تأثير الاضطراب النفسي في انتاج هذه القصيدة وتحديد أطرها الموضوعية.

الهوامش

هوامش (المبحث الأول)

(1) ينظر : نفسية أبي نؤاس – مُحَمَّد النويهي ،مكتبة الخانجي للطباعة،مصر،1970.ط2.

(2)مدخل إلى الأدب الاسلامي ، د.نجيب الكيلاني ،مطبعة رئاسة المحاكم –قطر ،1984،ط1،ص139.

(3)ينظر:المدخل إلى نظرية النقد النفسي – سيكولوجية الصورة الشعرية –نقد العقاد انموذجا – زين الدين مختاري 1996 ، ص3 .

(4)أصحاب الواحدة اليتيمات والمشهورات والمنسيات من الشعر العربي،مُحَمَّد مظلوم ،ص3 ، اصدار مؤسسة (كتاب في جريدة) – بيروت –لبنان–ع142-2حزيران-2010.

(5)طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ،شرح محمود أحمد شاكر ،دار المدني ، جدة ، 1974، ص152.

(6) المصدر نفسه ، ص 138.

(7)العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده لابن رشيق القيرواني،تحقيق صلاح الدين الهواري وهدى عودة ،دار ومكتبة الهلال ،2002، ص 123 .

(8)ينظر : شعراء الواحدة ،نعمان ماهر الكنعاني ، 1985بغداد ،ص 84 .

(9) أصحاب الواحدة اليتيمات والمشهورات والمنسيات من الشعر العربي ص3.

(10) أصحاب الواحدة اليتيمات والمشهورات والمنسيات من الشعر العربي ص3.

هوامش (المبحث الثاني)

(11)ينظر الطرائف الأدبية ،عبد العزيز الميمني ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،1972،ص72 .

قائمة المصادر

1-أصحاب الواحدة اليتيمات والمشهورات والمنسيات من الشعر العربي،مُحَمَّد مظلوم ،ص3 ،اصدار مؤسسة (كتاب في جريدة)-بيروت -لبنان –ع142-2حزيران-2010.

2-شعراء الواحدة ،نعمان ماهر الكنعاني ، 1985بغداد ، وزارة الإعلام –بغداد.

3-طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ،شرح محمود أحمد شاكر ،دار المدني ، جدة ، 1974 .

4-الطرائف الأدبية ،عبد العزيز الميمني ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة 1972.

5-العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده لابن رشيق القيرواني،تحقيق صلاح الدين الهواري وهدى عودة ،دار ومكتبة الهلال ،2002.

6- مدخل إلى الأدب الاسلامي ، د.نجيب الكيلاني ،مطبعة رئاسة المحاكم –قطر ،1984،ط1.

7-المدخل إلى نظرية النقد النفسي – سيكولوجية الصورة الشعرية –نقد العقاد انموذجا -زين الدين مختاري 1996.

8-نفسية أبي نؤاس – مُحَمَّد النويهي ،مكتبة الخانجي للطباعة،مصر،1970.ط2.